

سورة فاطر (الآيات: 7-9)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف قدرة الله تعالى على البعث والحساب .
- 2- أن أقارن بين جزاء الطائعين والعاصين يوم القيامة .
- 3- أن أهتدي بالمقاصد التي ترشد إليها الآيات .

تمهيد

بعد تحذير الله تعالى عباده من الاغترار بملذات الحياة الدنيا، ومن وساوس الشيطان، بين في هذه الآيات أن الناس فريقان: فريق اتبع الشيطان وكفر بالله تعالى فاستحق عذابه، وفريق آمن بالله وعمل صالحا فكان جزاؤه المغفرة والأجر العظيم. وفي هذه الآيات أرشد الله سبحانه نبيه ﷺ إلى عدم الحسرة والحزن على من أعرض عن رسالته وكذب بها، وبين سبحانه قدرته على البعث.

فكيف قارن الله تعالى بين الفريقين؟ وكيف أستدل على قدرة الله وعظمته انطلاقا من الآيات؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْجزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (7) ﴿أَقِمُّ زِينَتَكَ لِلَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَاللَّهُ يَكْسِبُ مَا يُنْفِقُ﴾ (8) ﴿وَلَا تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَمْسِكُوا بِالْأَرْكَانِ يُبْغِضَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (9)

مَرِيضَاءٌ فَلَا تَذُقْنَ نَفْسَهُنَّ عَلَيْهِمْ حَسْرَتِي إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَثِيرٌ مَخَابٍ بَسَفْتُهُ إِلَهِ بَلَاءٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَاهُ إِلَّا رَضْبَعَهُ مَوْتَهُ فَأَكْدَا لِمَا النَّشُورُ ﴿٩﴾

[سورة فاطر: 7-9]

الفهم

الشرح:

- سَوْءٌ عَمَلِهِ: قبيح عمله.
- بَثِيرٌ: فتحرك بشدة.
- بَلَاءٍ مَيِّتٍ: لا نبات فيه.
- النَّشُورُ: البعث والحشر.

استخلاص مضامين الآيات:

- 1- ما هو جزاء الكافرين والمؤمنين يوم القيامة؟
- 2- عماذا نهى الله تعالى نبيه ﷺ في الآيات؟
- 3- بماذا استدلل الله تعالى على وقوع البعث؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: جزاء الكافرين والمؤمنين:

قسم الله عز وجل الناس إلى فريقين وبين جزاء كل منهما، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ هذا استئناف ابتدائي بمثابة النتيجة لما تقدم، فالذين كفروا هم حزب

الشیطان وجنوده ، المستحقون لعذاب دائم شديد يوم القيامة . ونكر ﴿عَذَابٌ﴾ لتعظيم مدته ، ثم ذكر الله تعالى جزاء ما يقابل هذا الفريق ، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الذين آمنوا بالله ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة التي ترضي الله ، جزاؤهم يوم القيامة مغفرة الله تعالى لذنوبهم وإثابتهم الثواب العظيم .

وفي الآية وعيد لمن استجاب لوساوس الشيطان ، ووعد لمن خالف أمره وعاداه ولم يكن من حزبه . وقد بنى الله تعالى الأمر كله على الإيمان والعمل الصالح ، فبهما يتميز الناس يوم القيامة .

ثانياً: تسلية الله نبيه ﷺ بعدم الحزن عمن زين لهم سوء أعمالهم:

أرشد الله تعالى رسوله ﷺ إلى عدم الحزن عمن أعرض عنه وكذب بآيات ربه ، فقال سبحانه: ﴿أَقِمْ زِينَتَكَ، سُوْءَ عَمَلِهِ، قَبْرُ الْحَسَنَاءِ﴾ الاستفهام للإنكار ، وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله ، كمن لم يزين له؟ فالذي زين له سوء عمله هو الذي أضله الله ، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذي هداه الله ، ودل على الحذف السابق قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ قال ابن عجيبة رحمه الله: «أي: فمن أضله رأى الباطل حقاً ، فتبعه ، ومن هداه رأى الباطل باطلاً ، فاجتنبه ، والحق حقاً فاتبعه»

[البحر المديد لابن عجيبة ، 4/520].

ثم سلى الله تعالى نبيه ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله تعالى ، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَذَنْبٌ نَفْسًا عَلَيْهِمْ حَسْرَتِي﴾ أي: فلا تهلك نفسك حسرات باغتمامك على الذين زينت لهم أنفسهم سوء أعمالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: إن الله تعالى عليم بما يفعل هؤلاء من الذنوب والمعاصي ، ومجازيهم على ذلك .

ثالثاً: أدلة القدرة الإلهية على وقوع البعث:

ولما كان من طبيعة الضالين عن طريق الهدى والصواب، إنكار وقوع البعث والنشور؛ فلت الله تعالى نظرهم إلى قدرته التامة على ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ أي: والله تعالى بقدرته هو الذي أطلق الرياح مؤذنة بنزول المطر ﴿فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾ أي: فتحرك سحباً كان ساكناً، وجيء بفعل الماضي في قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾ وغير إلى المضارع في قوله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾ للدلالة على الحال العجيبة التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب ﴿فَسَفَّاهُ إِلَى رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ فجعلناها تسير إلى بلد لا نبات فيه ﴿فَأَخْبَيْنَاهُ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: فأخينا به الأرض بعد أن كانت جدباء يابسة ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ معنى ﴿النُّشُورُ﴾: الحشر، أي: وكما أحيا الله تعالى الأرض الميتة؛ كذلك يحيي الأموات ويعيّنهم للحشر يوم القيامة.

رابعاً: مقاصد الآيات:

تسعى هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية عديدة، منها:

- مجازاة الله تعالى عباده يوم القيامة بالقسط والعدل كل بما يستحق من خلال جوده على المؤمنين بجنات النعيم، وعقابه الكافرين بنار السعير.

- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ لعدم الحزن على من زين له سوء عمله وضل عن الطريق ليرشده سبحانه إلى نهج أسلوب الحكمة في دعوة الناس إلى الإسلام، وتبليغهم رسالته دون إلزامهم بقبول هذه الدعوة أو عدمها، فمهمته تقتصر على البلاغ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: 45] وهذا منهج ينبغي للمسلم أن يلتزم به اقتداء بالرسول ﷺ.

- إثبات عظمة الله تعالى وقدرته على بعث الناس وحشرهم يوم القيامة، بدليل قدرته على إرسال الرياح وما تحركه من سحب لينزل منه ماء يحيي الأرض بعد موتها؛ ففي إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على البعث.
- الدعوة إلى التزكية وتهذيب النفس بالاستجابة لأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، والاستعداد بالأعمال الصالحة ليوم القيامة.

التقويم

- 1- أقرن بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين يوم القيامة.
- 2- لماذا نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن التحسر على الكافرين والمذنبين؟
- 3- أربط بين الآيات ومقاصدها الواردة في العنصر الرابع.

الاستثمار

ذكر فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ أَرْسَلَ الْرِّيحَ فَتَشِيرُ سَجَابًا﴾ بِسُفْتِهِ إِلَى الرِّبْلِ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا كَذَلِكَ الْفُتُورُ ﴿مَسَائِلُ، مِنْهَا: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ أَرْسَلَ﴾ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَقَالَ: ﴿فَتَشِيرُ سَجَابًا﴾ بِصِيغَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا أَسْنَدَ فِعْلَ الْإِرْسَالِ إِلَى اللَّهِ وَمَا يَفْعَلُ اللَّهُ يُكُونُ بِقَوْلِهِ كُنْ فَلَا يَبْقَى فِي الْعَدَمِ لَا زَمَانًا وَلَا جُزْءًا مِنَ الزَّمَانِ، فَلَمْ يَقُلْ بِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ لِوُجُوبِ وَقُوعِهِ وَسُرْعَةِ كَوْنِهِ كَأَنَّهُ كَانَ وَكَأَنَّهُ فَرَّغَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ قَدَّرَ الْإِرْسَالَ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَعْلُومَةِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الْمَعْيَنَةِ وَالتَّقْدِيرِ كَالْإِرْسَالِ، وَلَمَّا أَسْنَدَ فِعْلَ الْإِثَارَةِ إِلَى الرِّيحِ وَهُوَ يُؤْلَفُ فِي زَمَانٍ قَالَ: ﴿فَتَشِيرُ﴾ أَيَّ عَلَى هَيْئَتِهَا.

[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 225/26]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- لماذا استعمل الله تعالى الفعل ﴿أَرْسَلَ﴾ بصيغة الماضي ، وعطف عليه الفعل ﴿قَتَّيْشِرْ﴾ بصيغة المضارع؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: 10- 11 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

- 1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: الْعِزَّة - مَكْر - يَبُور - أَرْوَلَجَا .
- 2- أبحث عن أدلة وقوع البعث من خلال آيات الأنفس .